

فضائح في ديوان ناجي

بقلم نور الدين صمود

١ - تعريف عام

جمع هذا الديوان وحققه وقدم له السادة : (احمد رامي وصالح جودت والدكتور احمد عبد المصمود هينكل ومحمد ناجي) ، اما الاولان فشاعران شهيران لكل منهما شعر كثير منشور او ملحن ، واما الثالث فيحمل شهادة عالية هي ائذكتوراه اتني تشهد لحاملها بالجدارة في التحقيق المنهجي ، واما الثالث فهو شقيق الشاعر صاحب اديوان ، بحيث يمكن ان يوثق به فيما يتعلق بشعره .

وهذا الديوان يضم - فيما يبدو - جميع ما انتج ابراهيم ناجي من شعر في جميع الاغراض التي يبدو ان الذاتية والوجدانية تطفيان عليها. فقد جمع فيه انسادة المشرفون عليه ديواني ناجي انلذين نشرا في حياته، وهما (وراء الغمام) الذي ظهر لأول مرة سنة ١٩٣٤ ، و (ليالسي القاهرة) الذي نشر سنة ١٩٥١ ، فيل وفاة الشاعر بستنتين ، واصافوا اليهما الديوان اندي نشر بعد موت الشاعر ، بعنوان (الطائر الجريح) (١) واصافوا الى هذه الدواوين الثلاثة جميع ما عثروا عليه من شعر ناجي في الصحف والمجلات والاوراق التي ختفها ، والتي ارسلها الى ابنته (ضوحية) او لبعض اصدقائه وصديقاته في شتى المناسبات . ولم يحتفظ منها بنسخة لعدم اعتداده بها . وهكذا يبدو لنا ان (هذا الديوان شامل خليق بان يحتل مكانته الرفيعة في المكتبة العربية) (٢). وقبل ان نصل الى شعر هذا الديوان نمر (بتمهيد) بقلم (اللجنة) حدثونا فيه عن كيفية جمعهم لهذا الديوان فاستطاعوا ان يجمعوا هذا الديوان اشمامل من افواه الثقافات ومن شفاه الحسان اللواتي طسالما الهمن ناجي اناشيده الخائدة ، ومن قصاصات الصحف التي كانت تتلطف شعر ناجي وتحتفي به (٣) بالاضافة الى دواوينه ائلاثة التي اشرت اليها منذ حين . وقد بوبوه على الطريقة التقليدية التي ترتب القصائد وفقا للحروف الابجدية التي تنتهي بها قوافيها (٤) ، ولكنهم وجدوا انفسهم « امام كثير من شعر المقاطع الثنائية والرابعة والخماسية الخ. فلم يجدوا بدا من ان ياخذوا اتقصيدة بقافية البيت الاول منها وان يضعوها في موضعها على هذا الاساس » (٥).

ويلى هذا التمهيد (سيرة حياة الشاعر) كتبها صالح جودت وقد حدثنا فيها عن الشاعر بادنا بجده انسيد ابراهيم القصبجي (تاجر الخيوط الذهبية المعروفة بالقصب) . . . ومنتهيا بيوم وفاة الشاعر « بينما هو يديني اذنه من قلب مريض في عيادته ، ويسمع دقاته اذا به يهوي كما يهوي الشهاب النير المشرق وتنتهي قصة حياة الشاعر الخالد في يوم ٢٤ مارس ١٩٥٣ ويرقد الى جوار جده لاهم ، الشيخ عبد الله الشرفاوي في مسجد بجوار الحسين رضي الله عنه » (٦) . ويلى كلمة جودت تعريف (بدواوين ناجي) الثلاثة التي تحدثوا عنها بشيء من التفصيل (٧) .

- (١) اشرف على نشر هذا الديوان احمد رامي - احد هؤلاء الاربعة المشاركين في جمع الديوان الشامل - واطلق عليه اسم (الطائر الجريح) وهو عنوان احدى قصائد الديوان .
(٢) مقدمة صالح جودت صفحة ٢٤ - (٣) صفحة ٥ - (٤) صفحة ٦
(٥) - ٨ - (٦) صفحة ١٠ - (٧) صفحة ٢٣ .

واخيرا تصل الى دراسة عن (فن ناجي) بقلم الدكتور احمد عبد المصمود هيكل في عشر صفحات لا نحب ان نتعرض لها لانها تمثل وجهة نظر صاحبها .

٢ - نقد

يحتوي هذا الديوان على مائتين واثني واحد وثلاثين قصيدة متفاوتة الطول ، لم يشيت المحققون لهذا الديوان تواريفها باستثناء (قصائد قليلة تركها الشاعر مؤرخة) . وقد تنبعت قصائد هذا اديوان فرايت ان حوالي اربعين قصيدة منه يمكن ان تعرف تواريفها معرفة تقريبية احيانا ومعرفة مضبوطة احيانا اخرى ، فجميع القصائد التي قيلت في وزراء الاوقاف الثلاثة الذين انصل بهم الشاعر ، يمكن معرفة تواريفها اذا ضبط لنا السادة المحققون تاريخ تولي كل منهم الوزارة وتاريخ انتهاء وزارته ، وهذا امر يتطلبه التحقيق العلمي الدقيق .

وفي الديوان قصائد اخرى يمكن اثبات تواريفها ائبانا قطعيا لا ريب فيه ولكن بشيء من التحقيق لا يتطلب جهدا ، كالتقصيدة التي قيلت في اليوم الذي مات فيه احمد شوقي بالضببط ، والسادة المحققون يعرفون شوقي معرفة شخصية ، وكلنا يعرف ان شوقي توفي فجأة يوم ١٣ اكتوبر ١٩٢٢ ، وكذلك الشأن مع بقية القصائد الاخرى التي قيلت في ذكر شوقي وهي اكثر من قصيدة ، ففي صفحة ٦٦ قصيدة (القيت في حفلة مسرح رمسيس بالقاهرة لذكرى مرور العام الاول على وفاة المرحوم احمد شوقي) اي سنة ١٩٢٣ ، وفي صفحة ٦٢ قصيدة (القيت في حفلة تابين المرحوم احمد شوقي بمسرح حديقة الازبكية) دون ذكر لعدد الذكرى ولا لتاريخها ، وفي صفحة ١٦٤ قصيدة اخرى « القيت في حفلة الذكرى التي اقامتها جماعة الادب المصري بالاسكندرية لمرور عام على وفاة المرحوم احمد شوقي » اي سنة ١٩٢٣ ايضا !

وكذلك الشأن بالنسبة (لمريية الشاعر محمد الهراوي التي القيت في حفلة تابينه) الم يكن من اليسير على هؤلاء السادة المحققين ان يشبثوا تاريخ وفاة الهراوي وتاريخ هذه الذكرى . . . لتتمكن من معرفة تاريخ القصيدة ؟ وقل مثل ذلك بالنسبة لكثير من القصائد . . . فاين هو « التحقيق » اذن ؟

وكم يأسف اتقارء عندما يرى ان السادة (المحققين الجامعيين المقدمين) قد عوضوا مقدمات الدواوين الثلاثة بمقدماتهم ، وكم كنا نود ان يشبثوا تلك المقدمات الاصلية ، فائديوان الاول « وراء الغمام » مقدم بقصيد من شعر احمد زكي ابي شادي ، (الى ناجي الشاعر) ومصدر بتصدير بقلم احمد الصاوي محمد ، وائديوان الثاني « ليالي القاهرة » مقدم بقلم ابراهيم الدسوقي اباطة ، وائديوان الثالث « الطائر الجريح » مقدم (بكلمة موجزة تحل محل المقدمة) بقلم الاستاذ الشاعر محمد عبد الفني حسن .

كما انهم حذفوا بالاضافة الى ذلك اشياء اخرى مثل (الاهداء)

وغيره (٨) . . .

(٨) على ان هذا الديوان لا يخلو من ماخذ اخرى مثل نشر بعض قصيدة « حديث فراشة » في صفحة ١١١ وبقويتها في صفحة ١٨٣ - ! على ان حذف المقدمات الاصلية ربما يعود امره الى وزارة الثقافة .

ديوان ناجي ان قصائده كلها تقريباً بنون ناريخ ، فلماذا لم ينتهبوا الى هذا الفرق الذي يدفهم الى انكسك ، والشك يدفع الى التحقيق ، والنحقيق يوصل الى اليقين ؟

واخيراً هل لم تطلع هذه اللجنة على مجموعة (رياح وشموع) انني اعتقد انها تضم هذه القصائد او اكثرها ؟

{ - فصيحة أكبر .

في صفحة ١٧١ من هذا الديوان قصيدة بعنوان (المرأة) تمتد الى صفحة ١٧٢ وقد علق عليها بهذا التعليق (عثرنا بهذه القصيدة في العدد ٧ و ٨ من المجلد الثالث لمجلة العمارة - سنة ١٩٤١ - كتنصوير شعري لرسم بالريشة لمجهول ، ويمثل امرأة عذرية في روضة ، تقطف تفاحة) . كما علق السادة المحققون على البيت انحادي والعشرين من هذه القصيدة التعليق التالي : « في العدد نفسه من مجلة (العمارة) وبعد قصيدة المرأة مباشرة جاءت هذه الابيات بعنوان « المثال والمرأة » كتنصوير شعري لرسم بالريشة ، لمجهول ، يمثل مثلاً يهتاجه جمال المثال ، اي المرأة التي ينحت مثالا لها ، فيلقي بالتمثال يحطمه ، ويعتمر المرأة بين ذراعيه . وهذه القصيدة استطراد للقصيدة الاولى ، ولهذا اضفناها اليها استكمالاً للصورة الشعرية ، ولا سيما ان القصيدتين من روي واحد ، مع ملاحظة ان القصيدة الثانية كان يجب ان تبدأ من المقطع السابق » .

والملاحظ ان القصيدتين ليستا من روي واحد كما قال السادة المحققون بل هي رباعيات من بحر واحد هو المتقارب ولكل رباعية رويها ، كما انهم الى ان الرسمين المثار اليهما ليسا لرسم مجهول كما قالوا بل هما للرسم (محمد سليم شوقي) وامضاؤه في الرسم الاول موجود تحت اليد اليمنى لتلك المرأة العارية التي وصفوها آنفاً ، وفي الرسم الثاني يوجد امضاؤه في اسفل الصورة من الجهة اليسرى قرب قدمي المرأة ، وهو امضاء جميل يشبه كاساً ضيقة من الاسفل منسعة من الاعلى . وقصيدة (المرأة) هذه انني نحن بصدد الحديث عنها ليست من شعر ابراهيم ناجي ايضاً ، فهي مثل قصائد كمال نشأت ، قد انخرطت غلظاً في هذا الديوان ، واعتقد ان اللجنة التي جمعت هذا الديوان وحققته ستحتاج الى استدراك اخر يضع الامور في نصابها ، ويعطي كل ذي حق حقه .

هذه القصيدة - او هاتان القصيدتان اللتان ادمجتهما اللجنة في قصيدة واحدة من شعر علي محمود طه (المهنس) ، من اقصوصته الشعرية « ارواح واشباح » وتوجد الابيات العشرون الاولى منها على الصفحات ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، وتوجد الابيات العشرين التالية على الصفحات ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ويوجد الرسم الاول الموصوف آنفاً على صفحة ٧١ ويوجد الرسم الثاني على صفحة ٣٣ من (ارواح واشباح) والى القسارى الرباعية الاولى من (المرأة) :

احاول افهمها مرة	فاعيا بها وبتفكيرها
امخلوقة هي ام ربة	تسير الخلاق في نيرها ؟
وما سحرها ؟ التكوينها ؟	وما حسنها ؟ التصويرها ؟
تقول الطبيعة بنتي ؟ وما	احس لها بعض تأثيرها

والى القارىء ايضاً الرباعية الاولى من المقطوعة الثانية (المثال والمرأة) :

راى جسم حواء فاشتاقيه	فهاجت به النزوة المسكره
سبى روحها فاشتتهى جسمها	فثارت بعزة مستكبره
سما جسمها وتابى عليه	فجرد في وجهها خنجره
وهم بها فالتوى قصده	فارسل صيحته المنكره

وقد ذكرت هاتين الرباعيتين من هذه القصيدة نقلاً عن ديوان ناجي ليتسنى لمن يملك (ارواح واشباح) الرجوع الى الصفحات التي ذكرتها منذ حين . والغريب ان مصدر هذه القصيدة او القصيدتين بالنسبة للسادة الجامعيين المحققين هو (مجلة العمارة) الصادرة سنة ١٩٤١ في حياة الشاعرين طه وناجي . واني لاعتجب كيف وقع هذا الخطأ

في عدد نوفمبر ١٩٦٦ من مجلة « افكر » نياً عن هذا الديوان في صفحاتين ونصف نقلته عن عدد ايلول ١٩٦٦ من مجلة (المكتبة) العراقية وخلصته . . . انه قد (صدر بالقاهرة الحكم في القضية الادبية التي اثاره ضجة عالية واستمرت خمس سنوات . . . انها قضية ديوان ابراهيم ناجي الذي اصدرته وزارة الثقافة ، وظهرت فيه ١٧ قصيدة ليست من شعر ناجي وانما هي من شعر الدكتور كمال نشأت . . .) وكانت « اخبار اليوم » اول من نبهت الى ان هذا الديوان يضم ١٧ قصيدة لشاعر اخر هو كمال نشأت . . . « وتبين ان الشاعر كمال نشأت كان قد قدم الى الشاعر ابراهيم ناجي نسخة (مخطوطة) من مجموعة قصائده ، ليكتب لها مقدمة يقدمها بها الى القراء . ولكن كثرة مشاغل الدكتور ناجي ارجأت كتابته لهذه المقدمة . وظلت تلك النسخة في احد ادراج ناجي الى ان توفي سنة ١٩٥٣ وعثرت اسرته على تلك القصائد ، فظنت انها من شعر ناجي الذي لم ينشر ، وقدمته الى اللجنة المكلفة من وزارة الثقافة باصدار ديوان ناجي . »

« وقبل صدور الحكم ، اصبح كمال نشأت عضواً بلجنة الشعر بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب وزميلاً للشاعرين صالح جودت واحمد رامي . واصر حتى الان دواوين « رياح وشموع » و « انشودة الطريق » و « ماذا يقول الربيع » . . . وكانت الكلمة الاخيرة هي التي قائلها المحكمة منذ ايام وخلصتها تقريماً لعضء اللجنة بالف جنيه ، ورفض طلب كمال نشأت سحب (ديوان ناجي) من السوق .

واضطرت وزارة الثقافة ان تلصق ورقة على الصفحة الاولى من الكمية الباقية من الديوان تحت عنوان « اسف واعتذار » اعربت فيها اللجنة عن بالغ اسفها ، وعميق تأثرها ، لوفاة احد اعضائها ، وهو الاستاذ محمد ناجي الذي لقي وجه ربه بعد انتهائه من المهمة الموكلة اليه في هذا الديوان . وقد كانت هذه المهمة محصورة فسي موافاة زملائه اعضاء اللجنة بكل ما يستطيع ان يظفر به في بيت شقيقه صاحب هذا الديوان من تراث شعري بوصف كونه اقرب اناس اليه ، وصاحب الحق من بين اعضاء اللجنة في دخول بيت صاحب هذا الديوان ، ومراجعة اوراقه الخاصة « (٩) .

« وشاء سوء الحظ » ان تكون قصائد الدكتور كمال نشأت ضمن هذه الاوراق فسلمها شقيق الشاعر الى اللجنة على انها من شعر ناجي « فانخرطت في هذا الديوان » ثم ذكرت اللجنة اسماء هذه القصائد التي انخرطت في هذا الديوان خطأ وعددها ١٥ فقط (١٠) . وذكرت ارقام الصفحات التي نشرت فيها تلك القصائد ، « وقد املت اللجنة ان يكون هذا الاستدراك قد وضع الامور في نصابها واعطى كل ذي حق حقه » . ولست ادري كيف فات هذه اللجنة ان تنتبه الى ان هذه القصائد ليست من شعر ناجي ، فهل لم يلاحظوا ان بين فني الشعارين فرقا كبيراً (١١) . . . ؟ واذا لم ينتهبوا الى هذه الاشياء الفنية فهل لا يعرفون ان كمال نشأت قد اصدر ديواناً بعنوان « رياح وشموع » منذ اكثر من عشر سنوات ؟ الم يحاولوا (التحقيق) عندما رأوا ان من بين قصائد تلك المجموعة التي سلمها لهم شقيق الشاعر قصيدة بعنوان « رياح وشموع » وهو عنوان ديوان كمال نشأت المنشور ؟ الم يحاولوا مقارنة الخطوط وهو امر معروف في ميدان (التحقيق) ؟ الم يلاحظوا شيئاً هاماً ، وهو ان هذه المجموعة من شعر نشأت التي قدمها شقيق الشاعر الى اللجنة على انها من شعر ناجي تحمل تواريخ كتابتها واسماء الامكنة التي كتبت فيها باستثناء قصيدة واحدة فقط ، والملاحظ في

(٩) اننا اعرف المرحوم محمد ناجي شقيق الشاعر معرفة شخصية وهو رجل ضرير لا يستطيع تمييز الخطوط .

(١٠) سبق ان ذكرنا انها ١٧ قصيدة حينها نقلت « الفكر » عن « المكتبة » .

(١١) كتب الدكتور احمد صيد المقصود هيكل دراسة عن (ن ناجي) من صفحة ٢٨ الى صفحة ٣٧ .

العقمة

كان النجم كمحتضر
والافق جناز والليل ضريح
والشط بياب ، الا من سقن تسأل عن ربح
وانا هذا الملاح المجنون
أضرب بالمجداف شمالا ويمين
أضرب لكن الماء ثقيل كالطين
أهتف في سمع البحر
« خذني يا بحر الى منأى
هبني قطعة أرض لم تعرف
فيرد البحر
« أرجع يا مسكين
كيف تأخرت الى اليوم
وأبيت مع القرن العشرين »
ماذا ؟ ماذا ؟
أعض حسامي « كبروتس »
أشدو بسقوطك يا حب ؟
اني أسأل عن مدن لا تبني
عن لفظ أمنحه معنى
عن وتر يسكب لي لحنا
عن وجه اعرفه
لكن أين ، متى قد القاه
والعمر خريفا وشتاء أحياء
فاحطب يا ربح
كل الاشجار
فالارض امرأة عاقر
راحت تشكو عقم الامطار

عبده عثمان

المفوضية اليمينية باديس ابابا

في حياتهما دون ان يستدركاه في العدد التالي من تلك المجلة ؟ ومن يدري فلعله وقع استدراكه ، دون ان ينتبه الى ذلك السادة المحققون ؟ والنسخة التي املكها من اقصوصة (ارواح واشباح) من الطبعة الثانية صادرة سنة ١٩٤٢ ، وهذه الاقصوصة الشعرية من اولها الى اخرها على بحر واحد هو بحر المتقارب ، وكلها من اولها الى اخرها ايضا رباعيات على ذلك النمط الذي رأيناه في قصيدة (المرأة) المثبتة في ديوان ناجي ص ١٧١ ، والذي لا ريب فيه ان قصيدة (المرأة) من شعر طه كتبت ضمن هذه القصة الشعرية ، ولست ادري متى ظهرت الطبعة الاولى لهذه القصة ، فالطبعة الثانية ظهرت بعد عدد مجلة العمارة بسنة واحدة ، وناجي اصدر سنة ١٩٥١ ديوان ليالي القاهرة بعد وفاة طه ولم يثبت فيه هذه القصيدة التي نسبت اليه خطأ في مجلة العمارة ، وفي الديوان الشامل ايضا .

ولعل صالح جودت قد اصاب من حيث لا يشعر عندما قال عن الشاعر محمد الهمشري وعلي محمود طه وابراهيم ناجي وعن نفسه عندما كانوا يقضون اجمل ليالي العمر في حديث الادب والشعر : « كانت هذه الصحبة مدرسة جديدة في الشعر ، تتقارب خطوطها كل التقارب ، الى حد ان اختلط شعرنا على الناس في كثير من الاحيان فنسب الي غير صاحبه ، والى حد ان احدا منا نحن الاربعة لم يكن يعرف من التلميذ ومن الاستاذ ، فقد كان كل منا يفيد مسن صحبة الاخرين » (١٢) .

ولكن اذا جاز ان يختلط شعر هؤلاء الاربعة على الناس فانه لا يجوز ان يختلط على الاصدقاء انفسهم ، وعلى المحققين بصفة خاصة ، على انه قد اختلط بهذا الشعر شعر شاعر اخر ... هو كمال نشأت ، الذي تحدثنا عنه منذ قليل .

لست ادري كيف غفل عن هذا الامر كل من شقيقه ، والشاعرين جودت ورامي والدكتور هيكل ، وكيف لم يطلع كل هؤلاء على اقصوصة (ارواح واشباح) الشعرية ، وهي لون جديد في الادب العربي ؟ واكثرهم يدعي بانه صديق حميم للشاعرين يظلمون بعضهم على شعرهم قبل نشره .

قالت مجلة (المكتبة) : ان مجلة (اخبار اليوم) نهت اثر صدور الديوان الى انه يضم ١٧ قصيدة (٩) للشاعر كمال نشأت ، فلماذا لم تنتبه هذه الجريدة الى الان ، ولا غيرها من الجرائد والمجلات في مصر الى وجود قصيدتين في هذا الديوان للشاعر علي محمود طه ؟ ولماذا ظلت « هذه القضية الادبية تثير ضجة عالية وتستمر خمس سنوات » ثم يصدر فيها حكم ... ويضاف الى الصفحة الاولى من الديوان « اسف واعتذار » دون ان ينبه احد الى وجود قصيد اخر في هذا الديوان لشاعر اخر ؟

اغلب الظن ان جريدة « اخبار اليوم » لم تنتبه الى وجود قصائد كمال نشأت ضمن ديوان ناجي بنفسها ولكن الذي نهبها الى ذلك هو الشاعر نفسه ، لانه ما زال على قيد الحياة ، ولو لم يكن حيا لبقي امر انخراط قصائده في ديوان ناجي مجهولا كما وقع بالنسبة لقصيدة عبي محمود طه ، فقد نقد صالح جودت ورد جودت على النقد ورد النقد على صالح جودت ... وكتب الدكتور محمد مندور مقالا مشهورا في ٨ صفحات ضد اللجنة وقد اخذت به المحكمة وهي تصدر حكمها ... « ولكن رغم كل ذلك لم ينتبه احد الى وجود قصيدة علي محمود طه ضمن هذا الديوان لتكون « الفضيحة » واحدة ، و « التفرير » مرة واحدة لصالح الشاعرين و « الاسف والاعتذار » مرة واحدة ايضا ...

ولست ادري هل سيقوم ورثة المرحوم علي محمود طه بقضية اخرى ضد هذه اللجنة وهل ستفرمها المحكمة مرة اخرى وهل ستلتحق اللجنة باعتذارا اخر على ورقة (الاسف والاعتذار) التي الصقتها على الصفحة الاولى من هذا الديوان ؟

نور الدين صمعود

تونس

(١٢) الديوان ص ١٦